اليهودية

" ولكم أيها المتقون اسمي تشرق شمس البر والشفاء في أجنحتها "

سفر ملاخي – التوارة

بنو إسرائيل اليهود العبرانيون

شاع بين الناس خلطُ مسمياتٍ ثلاث ببعضها البعض ، وهي في حقيقة الأمر مصطلحات ثلاث لابد من التمييز بينها.

يقول الدكتور (عبدالجليل شلبي) : " إننا نتحدث عن هذا الشعب بشيءٍ من التسامح في تسميته ، فنقول مرةً الشعب العبراني ، وثانية الشعب الإسرائيلي ، وثالثة اليهودي، مما يوهم أنها أسماء مترادفة وهي في واقعها ليست كذلك "[١].

لقد أُطلق اسم العبرانيين على آل (إبراهيم) الخليل ، الذين اجتازوا [عبروا] معه نهر الفرات [٢].

وحددت التوراة هؤلاء القوم فذكرت أنهم كانوا (تارح) وإبنه إبرام [إبراهيم]، و(ساراي) [سارة] زوجة (إبراهيم) ، و (لوط) حفيد (تارح) وإبن (هاران)، الذي كان قد توفي : " وأخذ (تارح) (إبرام) إبنه، و(لوط) إبن (هاران) إبن إبنه، (وساراي) كنته، إمرأة (إبرام) إبنه. فخرجوا معاً من (أور) الكلدانيين إلى أرض كنعان " [٣].

ومبدأ الأمر أن هؤلاء العبرانيين كانوا قوماً من "البدو" الساميين، من أعراب الجنوب الشرقي لشبه الجزيرة العربية، ثم ارتحلوا – كعادة البدو – إلى بلاد الرافدين [العراق] حيث سكنوا أولاً بلدة (حاران)، ثم انتقلوا فيما بعد إلى (أور) عاصمة البلاد.

وتحت وطأة غارات العيلاميين والأموريين ؛ أُضطرت هذه القبيلة الصغيرة إلى ترك البلاد كلها قاصدةً أرض كنعان [فلسطين] [٤]. ويرى البعض أن الهجرة قد تمت في حوالي سنة ٢٠٠٠ قبل الميلاد [٥].

أما الإسرائيليون فهم أبناء (يعقوب) الإثنا عشر، الذين عُرفوا بالأسباط، ونسلهم، وسنتناول ذلك فيما بعد بشيء من التفصيل.

وإسرائيل هو اسمٌ لفرد واحد هو (يعقوب) نفسه، وهو لفظٌ عبراني يتكون من مقطعين "إسرا" بمعنى عبد أو "صفوة"، و"إيل" يعني الله [٦].

أما اليهود فهي تسميةٌ دينية أُشتقت من اسم (يهوذا) ابن (يعقوب)، وذلك لاقتصار الرسالة الدينية عليه دون إخوته [٧].

ويمكننا إيجاز تاريخ بني إسرائيل ذوي الأصل العبراني والديانة اليهودية في النقاط الأساسية التالية :

أولاً : إقامتهم في مصر :

دخل بنو إسرائيل مصر ضمن قبائل الهكسوس، التي زحفت على البلاد إثر مجاعة ضربت مناطق غرب آسيا. وأمكن تحديد ذلك بعام ١٧٣٠ قبل الميلاد. وكان أول من دخل إلى مصر من بني إسرائيل [بنو يعقوب] النبي (يوسف).

وأثناء إقامة بني إسرائيل في مصر دارت أحداث قصة (موسى) عليه السلام، التي انتهت بخروجه على رأس قومه إلى شبه جزيرة سيناء، وتاهوا هناك أربعين عاماً. ثم توفي النبي (موسى) تاركاً قيادة بني إسرائيل إلى صفيه (يوشع) بن (نون)[٨].

ثانياً : احتلالهم أرض كنعان :

بعد خروج بني إسرائيل من مصر هاجموا أرض كنعان [فلسطين]، وبعد معارك ضارية وحرب إبادة استطاعوا فرض سيطرتهم على البلاد، ثم اقتسم الأسباط الأرض فيما بينهم، وهكذا عرف بنو إسرائيل الاستقرار. إلا أنهم ظلوا على نظامهم البدوي [القبلي]، فقد اختار كل سبط منهم زعيماً لهم، وأسموا رؤسائهم هؤلاء "قضاة". وقد بلغ عددُ هؤلاء القضاة خمسة عشر قاضياً، حكموا بني إسرائيل لمدة أربعمائة سنة، كما تقول التوراة، أو مائة عام كما يقول بعضُ المؤرخين[٩].

وعن عهد القضاة يقول (جيمس هنري برستيد) : " كانت الحياة العبرانية القومية لا تزال خاملة لا تكاد تعرف شيئاً من الحكم المركزي أو النظام القومي. فقد كان العبرانيون لا يزالون متأثرين كل التأثر بحياة القرون الطويلة التي قضوها في الرعي وتلمس الكلأ على حدود الصحراء، قبل أن يدخلوا فلسطين، فكانوا لا يزالون متمسكين بالعادات الساذجة المتبربرة الشائعة بين قبائل الصحراء، بل ببعض التقاليد القريبة من الوحشية التي تلازم الحياة الفطرية، مثل ذبحهم الولد البكر قرباناً لإله القبيلة"[١٠].

وقد انتهى عهد "القضاة" هذا بفوضى أدت إلى ثورة، كانت إرهاصاً لعهد جديد ومختلف.

ثالثاً : عصر الدولة :

كان آخر حكام بني إسرائيل من القضاة يدعى (صموئيل)، وفي نهاية حكمه طالبه بنو إسرائيل بأن يقيم ملكاً لهم مثل ما لجيرانهم : " فأبى الشعب أن يسمع لصوت (صموئيل) وقالوا لا بل يكون علينا ملك. فنكون نحن أيضاً مثل سائر الشعوب.. " [١١].

فاختار هذا القاضي رجلاً يدعى (شاؤول) ملكاً لهم. وهكذا صار (شاؤول)، أو (طالوت) كما ذكر القرآن، أولَ ملكٍ في دولة بني إسرائيل، التي قامت حوالي عام ١٠٩٥ قبل الميلاد [١٢].

وخلف (شاؤول) أحدُ رجاله، وهو النبي (داود) [١٣]. وقد تميز عهده الذي دام ستين عاماً بكثرة الحروب، التي انتهت بهيمنته على (أورشليم) [القدس]، واتخاذه لها عاصمة لدولته[١٤].

وبعد وفاة (داود) تولى إبنُه (سليمان) الحكمَ مكانه، واستمر حكم (سليمان) مدة أربعين سنة، ويُعرف عهد (شاؤول) و(داود) و(سليمان) بعهد الملوك الأول.

وحدث بعد وفاة (سليمان) [حوالي ٩٧٥ ق. م] أن إبنه (رحبعام) لم يحظ إلا بمبايعة سبطين من أسباط بني إسرائيل الإثني عشر. أما الأسباط العشرة الآخرون فقد اختاروا (يربعام) ليكون ملكاً عليهم[١٥].

فصار هناك حاكمان على رأس مملكتين لبني إسرائيل، إحداهما في الجنوب وعاصمتها (أورشليم)، والأخرى في الشمال وعاصمتها (السامرة)[١٦].

وعن الأوضاع السياسية في هاتين الدولتين يقول د. (أحمد شلبي) : " كانت دولة (إسرائيل) تمثل أغلبية الأسباط، وكانت أوسع رقعة من دولة (يهوذا)، ولكن دولة (إسرائيل) كانت مضطربة، كثيرة الانقلابات، في حين كانت دولة (يهوذا) أكثر استقراراً. ومن أجل هذا تقلب على عرش (إسرائيل) ملوك من أسر متعددة، وتغيرت عاصمتها مع الانقلابات. أما (يهوذا) فقد ظل المُلك بها في سلسلة متصلة من ذرية (سليمان) وظلت عاصمتها (أورشليم)[١٧].

وبينما استمرت دولة (يهوذا) قائمة طيلة ٤٠٠ سنة، ثم انهارت تحت وطأة ضربات الملك البابلي (بختنصر)، عام ٥٨٦ قبل الميلاد، نجد أن دولة إسرائيل كانت أسرع بالانهيار، فقد أسقطها الملك الأشوري (سرجون) عام ٧٢١ ق.م[١٨].

وقد عُرف هذا العهد بعهد الملوك الثاني، الذي تميز بكثرة الإضطرابات الداخلية وانتشار الفتن، وكان الضعف قد بدأ يسري في أوصال دولة بني إسرائيل في أواخر عهد (سليمان) نفسه، ويضيف (برستيد) سبباً هاماً آخر لانهيار هذه الدولة، فيصف موقع أرض (كنعان) [فلسطين] بقوله : " (فلسطين) كانت قديماً كما هي الآن : كرة قدم دولية "[١٩].

ويفصل (ويلز) هذا الوصف فيقول : ".. أصبح تاريخ ملوك (إسرائيل) وملوك (يهوذا) تاريخ ولايتين صغيرتين بين شقي الرحى، تعركهما على التوالي سوريا ثم بابل من الشمال، ومصر من الجنوب "[٢٠].

رابعاً : النهاية

بعد أن أزال الأشوريون مملكة(إسرائيل) من الوجود، وبعد تدمير البابليين لمملكة (يهوذا) ؛ لم تقم لبني إسرائيل قائمة في فلسطين، التي صارت تحكم حكماً أجنبياً دائماً من دول مختلفة، فقد توالى على حكم فلسطين : البابليون [٥٨٦ – ٥٣٨ ق. م]، وتبعهم الفرس [٥٣٨ - ٣٣٠ ق. م]، ثم أعقبهم اليونانيون [٣٣٠ - ٣٢٣ ق. م]، فالبطالمة [٣٢٣ - ٢٠٠ ق. م]، ثم السلوقيون [٢٠٠ - ١٦٧ ق. م]، فالسلوقيون والمكابيون [١٦٧ - ٦٣ ق.م]، ثم الرومان [٦٣ ق. م – ٦١٤ ميلادية] [٢١].

العقيدة اليهودية

لليهود كتابٌ مقدس أساسي هو التوارة . والتوراة كلمة سامية عبرية تعني الشريعة، وهي تطلق على خمسة أسفار تُنسب لـ(موسى)، وهي التكوين واللاويين والخروج والعدد والتثنية.

وتبدأ من أصل الكون، وتنتهي بدخول اليهود أرض كنعان[٢٢] [فلسطين]. وتتناول الأسفار الخمسة، أي كتب (موسى)، قصص خلق العالم والإنسان، والطوفان، وقصص الأنبياء، وإقامة بني إسرائيل في مصر، وخروجهم منها، كما تشتمل كذلك على التقاليد والعبادات، وغير ذلك من المسائل الدينية وطقوسها، وكذلك بيان تعداد أسباطهم بالتفصيل. ويضاف إلى هذه الأسفار الخمسة أربعة وثلاثون سفراً كتبت بعد (موسى)[٢٣].

ويعلق (موريس بوكاي) على أسفار (موسى) الخمسة، فيقول بأنها مجموعة من " أقوال موروثة مختلفة، جمعها – بشكل يقل أو يزيد حذقاً – محررون وضعوا تارة ما جمعوا جنباً إلى جنب، وطوراً غيروا من شكل هذه الروايات بهدف إيجاد وحدة مركبة، تاركين للعين أموراً غير معقولة وأخرى متنافرة " [٢٤].

ويؤيد رأيه في ذلك ما جاء في بيان المجمع المسكوني للفاتيكان الثاني (١٩٦٢ – ١٩٦٥) : " غير أن هذه الكتب تحتوي على شوائب وشيء من البطلان"[٢٥].

وقد قام عددٌ من علماء الدين اليهود في القرنين الميلاديين الأول والثاني بتأليف كتابٍ آخر لتفسير التوراة أشتهر باسم التلمود، وظل هؤلاء يضيفون إلى التلمود روايات أخرى حتى صار يتكون من ثلاثة وستين سفراً[٢٦].

وقد انقسم اليهود إلى عدة فرق، كان أشهرها : فرقة "الفريسيين"، واسم الفرقة يعني الذين انفصلوا أو انعزلوا عن بقية الشعب، وأفراد هذه الفرقة يتمسكون بالتعاليم النصية ويرفضون مبدأ الاجتهاد في هذه النصوص، كما أنهم يؤمنون بالبعث والحساب والجزاء، ويؤرخ لنشأة هذه الفرقة بالقرن الثاني قبل الميلاد.

أما فرقة "الصدوقيين" فقد اكتسبت هذا الاسم من أحد الكهان الذي كان يُدعى (صدوق)، وعاش في القرن الثالث الميلادي. وأهم ما يميز عقيدة هذه الجماعة هو إنكارُ "التلمود"، كما أن أتباع فرقة الصدوقيين لا يجعلون من قدسية التوراة قدسية مطلقة.

أما ما يهمنا هنا – بالنسبة لموضوع هذا البحث – فهو عدم إقرار هذه الجماعة بوجود بعثٍ وحساب وجزاء.

وهناك أيضاً فرقة "الكتبة" التي كان يقوم أفرادها بنسخ الكتاب المقدس[٢٧].

وعن الإله أو الآلهة التي عبدها بنو إسرائيل فقد يكون من الأفضل هنا أن نورد أقوال بعض العلماء.

يقول (هنري برستيد) : " فيما هذا الشعب المضطهد في بلاد عدوانية ؛ كان لابد من ظهور قائد زعيم عبقري (..) وضع نصب عينيه تخليص مواطنيه من العبودية (..) هذا المشروع السياسي كان سيتم بإيحاء ديني باسم إله جديد ".

أما (فوستر كنت) فيقول : " إن (موسى) حاول أن يُكوّن أمة من الجماعات التي تبعته، وقد وجد ألا مناص من تحديد إله يرعى جموعهم وتعبده الجموع، ويتم بينه وبين بني إسرائيل نوع من المنفعة المتبادلة، ويرتبط مصيرهما بالأخر ارتباطاً دقيقاً، وتبعاً لذلك أعلن (موسى) "يهوه" إلهاً لبني إسرائيل " [٢٨].

أما (جان بوتيرو) فيقول : " نحن أمام حال اجتماعية قبلية بدوية، لم تكد تستقر على الأرض التي اغتصبتها وتتعلم من جيرانها أساليب المدنية ؛ حتى جاء من حطم غرورها وأبعدها بالقوة"[٢٩].

ويقول (برستيد) : " فإن هذا الشعب لم يقم له نظام قومي خالص إلا منذ العشر أو العشرين سنة السابقة لعام ١٠٠٠ قبل الميلاد، ولم يبق أمة موحدة إلا نحو قرن واحد على أكبر تقدير " [٣٠].

ثم يضيف : " أخذ بنو إسرائيل كل شيء وتعلموا كل شيء من الكنعانيين بما في ذلك لغتهم ".

ونقرأ في "سفر القضاة" [من كتاب اليهود المقدس] أن الإسرائيليين أقاموا بين الكنعانيين "وعبدوا آلهتهم "[٣١].

ويقول (ديورانت) : " يبدو أن الفاتحين اليهود عمدوا إلى أحد آلهة كنعان فصاغوه في الصورة التي كانوا هم عليها، وجعلوا منه إلهاً"[٣٢].

ويكمل (برستيد) : " لم يقتصر الأمر على آلهة الكنعانيين، بل أضيفت إليهم – مع تطور العلاقات مع الدول المجاورة – بعض آلهة الفينيقيين والسوريين مثلاً" [٣٣].